

اقتُرنت الكتابة الشعرية للأطفال بأسماء ذات أهمية في مسيرة الشعر العربي المعاصر، والتي نبهت أيضاً إلى هذا الجانب المغفل في الأدب العربي، وفي الريادة منهم: أحمد شوقي ومدرسته الإحيائية في الشعر الحديث. غير أن الإضافة الأكثر حضوراً ومعاصرة كانت مم تلك النصوص التي كتبها الشاعر سليمان العيسى، وطورها؛ إيماناً منه بضرورة الرهان على الجيل الجديد بعد المزايم والانتكاسات التي مرت بها الأمة العربية. وقد توالى إنجازاته في هذا المجال، شعراً ونثراً، مستلهماً التراث والمعاصرة في آن واحد، كما تشير إليه هذه المختارات.

الكلمات الخضر للأطفال

سليمان العيسى

إلى أطفال صنعاء، وعلى صفحات (غيمان) التي كرّست شيئاً
من جهدنا للأطفال - مشكورة جداً - ، أهدي هذا المشهد
الشعري من طفولتي، وأنا أصرع أعوامي التسعين لأكون مع صغاري
في مكان .
سليمان
٢٠١٠-٣-١٠

الشاعر: أعزّائي... صباح الخير!
الأولاد: صباح الخير!
الشاعر: سأحكي اليوم يا أطفال
عن ديواني الأول
عن الشعر الذي سمّيته:
ديواني الأول.
هند: وهل يُسمى الشعر ديواناً؟
الشاعر: نعم، يا طفلي الحلوة!
نعم، يا هند، يا سامراً!
يُسمى الشعر ديواناً
يضمُّ قصائد الشاعر.

ديواني الأول الذي كتبه بقلم من قصب
تعددت رقيقة الدرب الدكتوراة ملكة أبيض أن تكتب
لي مقدمة صغيرة لمعظم الدواوين التي أصدرتها.
وها هي ذي تقدم لهذا الديوان، شارحة دور الكلمة
في حياتي.
وقد رأيت أن أختار الحلقة الثامنة من قصة طفولتي
الشعرية: «أحكي لكم طفولتي يا صغار»^(١)، وأجعلها
في صدر هذا الكتاب؛ لا لشيء، إلا لأنها تتحدث
عن الكلمة أيضاً، ودورها في حياة الشاعر، منذ
كتب ديوانه الأول بقلم القصب حتى الساعة.

(١) ترجمت الدكتورة ملكة أبيض «أحكي لكم طفولتي يا صغار» إلى الفرنسية وطُبعت الترجمة في الجزائر عام ٢٠٠١.

هند: ومتى بدأت تكتب الشعر؟

الشاعر: صغيراً كنت حين بدأت

أكتب، أكتبُ الكلمةَ

مُنْعَمَةً، مَلْحَنَةً

تكاد تُعَرِّدُ الكلمةَ

تطيرُ، تطيرُ كالعصفورِ

فوقِ الدفترِ، الكلمةَ.

الأولاد: تطيرُ، تطيرُ كالعصفورِ

فوقِ الدفترِ الكلمةَ.

الشاعر: هي الكلمة

هي الكلمة

تصيرُ فراشةً حيناً

وقنديلاً على العتمةِ

وقنبلةً تُرَدُّ كَتَائِبُ

العدوانِ منهزمةِ

إذا كانت بهمَّ الناسِ،

بالأعصابِ ملتحمةِ.

الأولاد: هي الكلمة

هي الكلمة.

الشاعر: كتبت قصائدي الأولى

بظلِّ التوتِ والتينِ

من العاصي..

من الأشجارِ...

من صوتِ الحساسينِ

ومن مَوَالِ فلاحِ

يغني في البساتينِ

سَرَفَتِ النِّعْمَةَ الأولى

بدأتُ بها تلاويني^(٢).

(الأولاد يرددون الأبيات السابقة مع

الشاعر)

كتبت قصائدي

وجمعتها في دفترِ أزرُقِ

بلونِ سماءنا الزرقاءِ

كانَ غِلافُه الأزرقُ^(٣)...

الأولاد (في بهجة ومرح):

بلونِ سماءنا الزرقاءِ

بلونِ سماءنا الزرقاءِ

قصيدتنا، معلقةُ الحنين^(٤)

سماؤنا الزرقاءِ

قصيدتنا، وتُكتبُ

بالنجوم... سماؤنا الزرقاءِ.

الشاعر (يتابع الحديث):

وكانت عُدَّتِي قَلَمًا

أَجَلِّ، قَلَمًا من القصبِ

براهُ أبي... وأبرعُ كاتبٍ

في الرِّيفِ كانَ أبي

وعنه أخذتُ هذا الدرسَ

بعد الجهدِ والتعبِ^(٥).

الأولاد: ماذا سجَّلتُ بديوانك؟

ماذا غنَّيتُ بديوانك؟

الشاعر (مبتسماً):

ماذا غنَّيتُ بديواني

وأنا طفلٌ تحت الشجرة؟

لا أذكرُ كلَّ قصائدهِ

كانت أزراً منتشرةً

(ينظر إلى البعيد وتظهر على

وجهه علامات حزن عميق)

غنَّيتُ تعاسةً ضيعتنا

(٢) التلاوين: مفردها: تلوين، والمقصود بها: الملامح والصفات الأولى للشاعر الطفل.

(٣) غلافه الأزرق: كان قطعة من القماش الأزرق المزهري، فصلتها بيدي، وغلضت بها الدفتر.

(٤) المعلقة: قصيدة طويلة من العصر الجاهلي سماها أجدادنا العرب هذه التسمية لأنهم كانوا يعلقونها -كما تقول الرواية-

على جدار الكعبة، تكريماً للشعر والشعراء. والمقصود هنا: قصيدة «الحنين» الطويلة.

(٥) هذا الدرس: أي طريقة بري القلم بصورة دقيقة ليكون الخط جيداً. وهي عملية تحتاج إلى مهارة ودقة شديدة. ولا تنسوا يا أطفال أن الخط العربي فن رائع بحد ذاته، فليكن خطكم جميلاً متقناً.

سَجَلْتُ تَبَاشِيرَ الْغَضَبِ
وَحَمَلْتُ إِلَى الْغَيْمِ الشُّكُوى
وَهتَفْتُ، هتَفْتُ: أَنَا عَرَبِي!
(في نبذة استغراب ممزوجة بالغضب):
إياد: هل أصبحت جريمة
أن تَذَكَّرَ الأشجارَ
بأنها أشجارَ
ويهتَفُ النهارَ
بأنه نهارٌ؟!
هند: هل كان صعباً أن تقولوا:
إننا عربٌ؟!
الشاعر: كان، وما يزال
يا هند، ما يزال
أعداؤنا الأشرارَ
يستعمرون الدارَ
ويسرقون الأرضَ والأسماءَ
يمحوننا لو استطاعوا مَحُونًا
من عالم الأحياء.
الأولاد (بلهجة غاضبة يهتفون):
لَكُنَّا أحياءَ
لَكُنَّا أحياءَ

الويلُ لِلصُّوَصِ
الويلُ لِلأعداءِ!
الشاعر (يواصل الغناء):
قاتلتُ بأشعاري الأولى
قاتلتُ بديواني الأزرقِ
سَمَّتِي القريةَ شاعرَها
وعرفتُ بها الحبَّ الأعمقُ
ما زال صِغارَ
في الريفِ صِغارَ
يَتَلَوْنَ قصائدَ ديواني
ذي الجلدِ الأزرقِ، ديواني
وَكَبِرْتُ أَنَا
وَنَسِيتُ أَنَا
لكنَّ أناشيدي الأولى
ستظلُّ يَنابِيعِي الأولى
ستظلُّ رَفِيقَتِي الأولى
وسأبقى أولَ ديوانِ
(يردد الأولاد بعض الأبيات الأخيرة مع الشاعر،
وهم غارقين معه في حُلْمٍ بعيد...).

● دمشق ٢٩ / ٩ / ٢٠٠٩



الكلمات الخضر للأطفال

غداً تُغني أرضنا جداولاً
 سنابلاً سنابلاً
 جداولاً جداولاً
 تسقي بها العطاش يا مطر
 تحيي بها النفوس يا مطر!



تهللي يا أرضنا السمراء
 وعانقي هديّة السماء
 بالنعمة انهمر
 بالعشب والثمر

المطر

مطرٌ مطرٌ مطرٌ
 بالنعمة انهمر
 بالعشب والثمر

تهللي^(١) يا أرضنا السمراء
 واستقبلي هديّة السماء
 مطرٌ مطرٌ مطرٌ.



غداً يموجُ حقلنا سنابلاً

(١) تهللي: ابتسمي وافرحي.



سليمان العيسى

الشتاء

أَوْقَدَ أَوْقَدَ نَارَ الْمَوْقِدِ
الرَّيْحُ تَتَنُّ عَلَى الشَّجَرِ
وَتَعَانِقُ خَيْطَانَ الْمَطَرِ
الرَّيْحُ رَسُولُ الرَّيْحِ تَقُولُ:
خَبِّأْنَا لِلشَّجَرِ الْعَارِي
خَبِّأْنَا أَحْلَى الْأَزْهَارِ
أَوْقَدَ أَوْقَدَ نَارَ الْمَوْقِدِ.



عُصْفُورٌ قَرَّ مِنَ الْبَرْدِ
وَتَسَأَلُ نَافِذَةً عِنْدِي
عُصْفُورِي جَاءَ وَالْجَوُّ شِتَاءً
عُصْفُورِي الْحُلُو سَأَحْمِيهِ
وَسَأَطْعُمُهُ وَأَدْفِيئُهُ
أَوْقَدَ أَوْقَدَ نَارَ الْمَوْقِدِ.

يا مرحباً، يا حُلُو، يا مطرًا!

العيد

ثِيَابٌ جَدِيدَةٌ
أَقْبَلُ مَامَا
وَأَهْتَفُ: عِيدٌ
وَجُوهٌ سَعِيدَةٌ
أَقْبَلُ بَابَا
سَعِيدٌ سَعِيدٌ.



أَلَا قِي رِفَاقِي
أَرَا جِيحٌ تَعْدُو
وَتَصْعَدُ دَعْدُ
وَنَهْتَفُ: عِيدٌ
بِرَأْسِ الرِّفَاقِ
أَرَا جِيحٌ تَقْبِلُ
وَعَسَانٌ يَنْزِلُ
سَعِيدٌ سَعِيدٌ.



نَدُورٌ نَدُورٌ
عَلَى كُلِّ قَلْبٍ
أَرَا جِيحٌ نُورٌ
وَنَهْتَفُ: عِيدٌ
وَيَطْفِي السُّرُورُ^(٢)
وَفِي كُلِّ دَرَبٍ
وَدُنْيَا حُبُورٍ^(٣)
سَعِيدٌ سَعِيدٌ.

(٢) يطفى السرور: يزيده ويطفح.

(٣) الحبور: السرور، الفرح.

واقضمي العشبَ البديع
إنَّه فَصَّلُ الرِّبِيْعِ!

الخريف

ورقَاتُ تَطْفُرُ فِي الدَّرْبِ
والغَيْمَةُ تُشَقِّرَاءُ الِهْدَبِ
والرِّيْحُ أَنَشِيدُ
والنَّهْرُ تَجَاعِيدُ
يا غَيْمَةُ يَا أُمَّ المَطَرِ
الأَرْضُ اشْتَاقَتْ فأنهمري
النفصْلُ خَرِيْفًا!



عُدْنَا عَدْنَا بِدَفَاتِرِنَا
بِأَغَانِينَا وَبِشَائِرِنَا
البِسْمَةُ فِي شَفْتِي
مَا أَحْلَى مَدْرَسَتِي
والنفصْلُ خَرِيْفًا!

الصيف

آتِي والبِسْمَةُ فِي شَفْتِي
وَبِجِيْبِي نَوْرُ الشَّمْسِ
آتِي بِخِتَامِ المَدْرَسَةِ
لِلْعَبِّ أَنَا وَالْأَنْسِ.



وأَوْزَعُ أَطْفَالَ البَلَدِ
كَنْجُومِ سَمَاءِ تَنْتَثِرُ
أَعْطِيهِمْ أَجْمَلَ مَا بِيَدِي
الشَّمْسَ الحَلْوَةَ والقَمَرَ.

الثلج

يا رَيْشَ العَصْفُورِ الأَبْيَضِ
يا ذَرَّاتِ الثَّلْجِ
غَطِّي أَشْجَارَ حَدِيْقَتِنَا
غَطِّي وَجْهَ المَرْحِ!



يا رَيْشَ العَصْفُورِ الأَبْيَضِ
يا لَحْنَ القَيْثَارِ
غَنِّي غَنِّي فِي شُرْفَتِنَا
غَطِّي سَطْحَ الدَّارِ!



يا ذَرَّاتِ الثَّلْجِ انهمري
غَطِّي وَجْهَ الدَّرْبِ
الآنَ سَأَكْتُبُ تَمْرِينِي
وسأَخْرُجُ لِلْعَبِّ.

الربيع

كُلُّ شَيْءٍ يُزْهِرُ
الرَّبِيْعُ الحَلْوُ عَائِدٌ
والعَصَافِيْرُ قَصَائِدٌ
مرحباً! جَاءَ الرَّبِيْعُ
كُلُّ شَيْءٍ أَحْضَرُ
مرحباً! عَادَ الرَّبِيْعُ.



عندَ أنفاسِ الصَّبَاحِ
اسْبِقِيهِ يا خِصْرَافَ
واعْبُرِي خُضْرَ الضُّفَافِ
اسْبِقِي لَحْنَ الغِنَاءِ
فِي فَمِ الوَادِي أَضَاءِ

أقرأ حَبَّاتِ الزَّيْتُونِ
أقرأ مَحْرَاثَ الْفَلَاحِ
لِيُؤْنَ الْحَقْلَ وَسُنْبُلِهِ
نُؤْلَ أَبِي فِي مَعْمَلِهِ...
أقرأ أقرأ...
قِصَّةَ أَرْضِي، قِصَّةَ وَطَنِي
كُلَّ مَسَاءٍ، كُلَّ صَبَاحٍ.



أقرأ مَا يَحْكِيهِ النُّورُ ثُمَّ يُغْنِيهِ الْعُصْفُورُ
أقرأ أَغْنِيَةَ الْمُسْتَقْبَلِ تَكْتُبُهَا الْأَجْيَالُ
يَكْتُبُهَا الْأَبْطَالُ وَالْمُسْتَقْبَلُ حَقْلٌ بِذُورِ.

أمي

مَلَكَ يَرْفُ عَلَى سَرِيرِي
يَحْنُوبُ أَنْفَاسَ الْعَبِيرِ^(٥)
سِرُّ الْإِلَهِ بِمُقَلَّتِيهِ^(٦)
وَنَعِيمُهُ فِي رَاخَتَيْهِ
أَغْلَى مِنْ الدُّنْيَا عَلَيَّ
وَأَحْسَبُ مَخَالِقَ الْيَّ
أَفْئِدِي الْمَلَائِكِ السَّاهِرَا
قَلْبًا عَالِيًّا وَنَاطِرَا
لَوْ كُنْتُ يَوْمًا شَاعِرَا
أَبْدَعْتُ أَجْمَلَ مَا تُغَنِّي
عُصْفُورَةٌ فِي مِثْلِ سِنِّي
وَسَقَيْتُ ضَوْءَ الْفَجْرِ لِحْنِي
وَحَمَلْتُ أَغْنِيَتِي لِأُمِّي
أَحْلَى أَنْشِيدِ الْهُوَى قُبَلَاتُ أُمِّي.



أعطيهم أمواج البحر
أعطيهم أنسام الجبل
وأمدُّ لهم بسطَ الزَّهْرِ^(٤).
وأرى في أعينهم أملي.



أتي والبسمة في شفتي
اسمي فصل الرَّاحَةِ
لولا عملي في مزرعتي
ما ذُقتُم تَفَاحَةَ.



أتي والبسمة في شفتي
وبجيبِي نورَ الشَّمْسِ
وثمَّاري تَمَلًّا مَزْرَعَتِي
فاجنوا وأتموا الفرس!

القارئ الصغير

اسمي «كامل»
وأبوي عامل
وأنا أقرأ
أقرأ أشياء مكتوبة
أقرأ قصصاً دون صُعوبة
أقرأ أزهار الليمون

(٤) البُسُط: مفردها بساط، والمقصود هنا: المناظر الطبيعية الجميلة.

(٥) العبير: العطر.

(٦) المقلة: العين.